

قراءة تحليلية في طبيعة وأسباب العنف الممارس ضد الزوجة
دراسة ميدانية بمصلحة الطب الشرعي-المستشفى الجامعي قسنطينة
*Analytical Reading of the Nature and Causes of Violence Perpetrated
Against the Wife.
Field Study in the Department of Forensics – Constantine University
Hospital-*

مسعودي بدر الدين^{1*}، جبلي فاتح²

¹ جامعة العربي التبسي. تبسة (الجزائر)، badreddine.messaoudi@univ-tebessa.dz

² جامعة العربي التبسي. تبسة (الجزائر)، fateh.djebli@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2021 / 12 / 30

تاريخ القبول: 2021 / 09 / 20

تاريخ الإستلام: 2021 / 05 / 15

ملخص:

يتناول هذا المقال موضوعاً سوسيولوجياً ألا وهو العنف الزوجي ضد زوجته في الأسرة الجزائرية، حيث يسعى إلى الإحاطة بأسبابه، وطبيعة العنف الممارس في الوسط الأسري من الزوج تجاه زوجته. والمجتمع الجزائري مجتمع ذكوري بامتياز، ومن خلال ما يقرّه المجتمع من عادات وتقاليده وضوابط. فالأزواج عادة ما يميلون إلى إخضاع زوجاتهم والهيمنة عليهنّ، ومع ما يشهده المجتمع الجزائري من تحولات عميقة، ووجود ترسانة قانونية لحماية المرأة، خاصة حصولها على الاستقلالية المالية بعد خروجها للعمل وتداخل الأدوار بين الرجل والمرأة وأحياناً تبادلها على مستويات معينة... جعل العديد من الأزواج يرفضون هذا الوضع الجديد فيسعون إلى إخضاع زوجاتهم بأساليب عنيفة منها: البدنية والمادية واللفظية أو النفسية والمعنوية؛ أي لجوء الزوج إلى العنف ضد زوجته للمحافظة على وضعه وتأكيد هيمنته. الكلمات المفتاحية: الأسرة ؛ الزوج ؛ الزوجة ؛ العنف ؛ العنف الأسري.

Abstract:

This article deals with a sociological subject, which is the violence of the husband against his wife in the Algerian family, as the two researchers seek to understand its causes and the nature of violence practiced in the environment of the family by the husband towards his wife; and it is usually the weakest circle, through the customs, traditions and controls that society establishes. Husbands usually tend to subjugate and dominate their wives, and with the profound transformations that Algerian society is witnessing, and the existence of a legal arsenal to protect women, especially their access to financial independence after leaving for work, and the overlapping of roles between men and women, and sometimes their exchange at certain levels....This Made many husbands reject this new situation and seek to subjugate their wives by violent means, including: physical, material, verbal, psychological and moral means. That is, the husband resorts to violence against his wife to preserve his status and assert his dominance.

Keywords: Domestic violence; Family; Husband; Violence; Wife.

1. مقدمة

تعتبر الأسرة واحدة من بين أهم المؤسسات الاجتماعية التي ينشأ فيها الطفل الإنسان؛ حيث أنها بناءً اجتماعي تفرضه الطبيعة البشرية والحاجة للاجتماع، وهي تتألف عادة من مجموعة من العناصر البشرية، والزواج هو الرابط الأساسي والشرعي لتأسيسها.

لقد شهدت الأسرة العديد من المحطات خلال تطورها سواء على مستوى البناء أو الوظيفة، وذلك تبعا للتغيرات الهيكلية والوظيفية التي مست أغلب المجتمعات الإنسانية؛ إن على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي وحتي الثقافي.

والأسرة الجزائرية بدورها عرفت تغيرات وتحولات بنائية ووظيفية؛ بدعوى التحضر والحداثة والتطبيع...، ومن بين التغيرات التي لحقت بالأسرة في الجزائر تغير الأدوار بين الزوجين وتداخلها، تغير شبكة العلاقات الأسرية بين أعضائها سواء بين الزوجين، أو بينهما وبين الأبناء... فكلما كانت هذه العلاقات موجبة في مسارها الطبيعي ساد في الأسرة جو من الوفاء والترابط والعكس صحيح.

فالجو الأسري السليم والعلاقات الأسرية الصحية يؤثران بشكل كبي على شخصية الطفل؛ فإذا كان هناك خلل في الأسرة أدى ذلك إلى وقوع خلل في شخصية الأبناء، وهو ما قد يؤدي إلى ظهور مجموعة من المشكلات النفسية الاجتماعية كانهخفاض مستويات الإرضاء وصراع الدور وغموضه... إلخ

فالأسرة تؤثر على التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال أسلوب المعاملة، أو طريقة التربية التي تنتهجها مع الأبناء؛ غير أن أسلوب المعاملة يختلف من أسرة إلى أخرى، فهناك أسر تميل إلى استخدام الحوار والنصح والإرشاد في حل المشاكل التي تواجهها، في حين هناك أسر تلجأ إلى استخدام العنف بمختلف أنواعه كالضرب، الشتم والتهديد...

والعنف الأسري ظاهرة اجتماعية وإنسانية تتجسد ظاهريا بالقوة وتهدف إلى إلحاق الضرر بالآخرين ماديا ومعنويا، ويعبر عنه بأشكال مختلفة كتعنيف الأبناء، تعنيف الآباء وإساءة معاملة الزوجة...، وهذا الأخير لا يزال شائعا رغم من وجود قوانين تمنعه، فالزوج الذي يمثل -في الأصل- الملاذ الآمن للزوجة أصبح يشكل خطرا عليها.

بناءً على ما سبق يأتي هذا المقال للبحث في أهم الأسباب المؤدية إلى تعنيف الزوجة من طرف زوجها داخل الأسرة، وكذا البحث في طبيعة العنف الذي تتعرض له الزوجات المعنفات اللاتي تشكلن عينة الدراسة. فنتيجة تحقظ تلك النساء ورفضهن إجراء مقابلات، قمنا بتحليل وقراءة مختلف الملفات الموجودة بمصلحة الطب الشرعي بالمستشفى الجامعي بقسنطينة.

واعتمدنا في هذا العمل البحثي على عينة قصدية تتألف من 11 مفردة، تأثرت بالعنف استنادا إلى تقارير مصلحة الطب الشرعي بالمستشفى الجامعي قسنطينة، وتتوافر فيها مختلف الشروط والتي من أهمها: تلقي العنف من الزوج، هناك آثار جسمية أو نفسية على المعنفات، تطهر طريقة أو وسيلة التعنيف. ولتحليل البيانات ومناقشة النتائج كان المنهج الملائم هو المنهج الوصفي، من خلال تحليل محتوى ملفات النساء المعنفات من قبل أوجهن.

أولا: قراءة في المفاهيم

1. مفهوم العنف

قبل التطرق إلى مختلف التعريفات الاصطلاحية لابد من الإشارة إلى المعنى اللغوي لكلمة "عنف"؛ حيث أن مصدرها "عنف" وتعني: شدة وقسوة، وهي ضد: رفق ولين. (جبران، 2001، صفحة 676)

ويشير لفظ العنف "violence" إلى الخرق بالأمر، وقلة الرفق، ويعنف وعُنفه وأعنفه، وعنفه تعنيفاً، وهو عنيف إذا لم يكن رقيقاً في أمره، واعتنف الأمر: أخذ. (ابن منظور، 1994، صفحة 257) وتشير كلمة عنف أيضاً إلى الأذى والاعتصاب للمرأة وإلى الشدة والقسوة والتخريب غير المبرر، والصفة "violence" تشير إلى سمات عدّة، منها: عنيف، قاسي، صارخ وشديد الانفعال أو التهيج أو غير طبيعي. (العيصوي ع.، 1997، صفحة 97)

وفي اللغة الفرنسية والإنجليزية نجد أنّ كلمة "عنف" مشتقة من الكلمة اللاتينية "vis" أي القوة، و"latus"، وهي كلمة "fero" والتي تعني يحمل، وعليه فإنّ كلمة عنف تعني حمل القوة اتجاه شيء أو شخص. (الجوهري وآخرون، 1995، صفحة 36)

أمّا من الناحية الاصطلاحية فسنقوم بعرض جملة من التعريفات التي من شأنها بلورت تعريف إجرائي، وتقريب الفهم للقارئ فيما يتعلّق بمفهوم العنف.

- هو الإرغام البدني واستعمال القوة بغير حقّ، ويشير اللفظ إلى كلّ ما هو شديد وغير عادي وبالعنف الغلظة. (الفاروقي، 1998، صفحة 34)

- ويُعرّف العنف في الدراسات النفسية على أنّه: استجابة سلوكية تتميز بصبغة انفعالية شديدة تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير، كما يحدث العنف كردّ فعل أو استجابة لعنف قائم وهو العنف المضاد. (العيصوي ع.، علم النفس الشواذ والصحة النفسية، 1999، صفحة 362)

- كما يشير العنف إلى استخدام الضّغط أو القوة استخداماً غير مشروع وغير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد أو مجموعة من الأفراد. (بدوي، 1982، صفحة 441)

والعنف ظاهرة اجتماعية تميّز السلوك الإنساني، استدعت اهتمام العلماء والباحثين لتسليط الضوء عليها، وفهم أسبابها، والبحث عن سبل تفاديها أو التخفيف منها... إلخ، وهو الأمر الذي أدّى إلى وجود جدل واختلاف لدى بعض العلماء، وذلك حسب المعنى والقصد الذي يرمي إليه.

ف عبد الرحمن العيسوي يعرّف العنف بأنّه: "أسلوب بدائي غير متحضّر يشكّل في كثير من الأحيان جريمة يعاقب عليها المجتمع، وكلّ الجرائم ينحدر في كيان المجتمع وينال من وحدته وتماسكه واستقراره وأمنه". (العيصوي ع.، 2000، صفحة 153)

وهذا التعريف عامّ وشامل لكلّ أنواع العنف ويركّز كثيراً على تلك التي تهدّد الاستقرار، كالعنف الطائفي والإرهاب وما إلى ذلك؛ فنتيجة التطوّر الذي عرفه الإنسان خلال مسيرة منذ النشأة، ونتيجة التحضّر الذي عرفته المجتمعات المعاصرة، أصبحت هناك ضوابط للسلوك الإنساني يفرضها المجتمع من خلال قوانينه المختلفة، التي تستوجب من الأفراد الالتزام بها. وكل سلوك عنيف يعتبر بدائي وغير متحضّر وهو جريمة تهدّد كيان المجتمع، وتهدّد وحدته وتماسكه وأمنه...

كما عرّف جورج جرينز العنف بأنّه: "التعبير الصّريح عن القوة البدنية ضدّ الذات أو الآخرين أو هو إجبار الفعل ضدّ رغبة شخص على أساس إيذائه بالضرر قتل النفس أو إيلاها وجرحها". (عبد المختار، 1999، صفحة 154)

من خلال هذا التعريف نلاحظ أنّه أكثر تركيزاً من سابقه، فيوضّح أطراف العنف فقد يكون ضدّ الذات، أو ضد الآخرين، وهو ضمن نطاق ضيق حينما يركّز على العنف البدني الضار كالضرب والقتل والإيذاء ومحاولة التسلط على الآخرين وفرض السيطرة عليهم.

أما نيبيرغ NiBerg، فيعتبر العنف كل: "فعل مباشر يهدف إلى قصر، جرح أو تدمير الأشخاص والممتلكات". (مجموعة من الأساتذة، 2003، الصفحات 14-16)

وهذا التعريف أيضا محدود وفيه نوع من القصور: حينما ركّز على العنف المباشر، وحصر الأضرار في المادية (القتل، الجرح، الضرر بالممتلكات...); أي أنه يرتبط مباشرة بالقوة المادية دون الإشارة إلى الأضرار المعنوية. ونجد ريمون بودون يعتبره: "كل مبادرة تتدخل بصورة خطيرة في حرية الآخر، وتحاول أن تحرمه من حرية التفكير والرأي والتقرير وتنتهي خصوصا لتحويل الآخر إلى وسيلة أداة من يمتصه ويكتنفه دون أن يعامل كعضو حر وكفء". (مجموعة من الأساتذة)

أول ملاحظة يمكن تسجيلها حول هذا التعريف هو قصوره؛ حينما يركّز على الأبعاد المعنوية، ويغفل المادية منها، فهو على خلاف نيبيرغ، أشار وركّز على العنف المعنوي دونما ذكر العنف المادي أي أنّ كل واحد منهما ركز على جانب واحد؛ إلّا أننا قد نجيز ذلك واعتبار أنّ هذا التعريف يعبر عن تطوّر تاريخي معيّن، كان فيه العنف المادي طاغ في المجتمعات المختلفة، وكان المعنوي موجود لكن لم يتم تناوله.

أما ين ستين Yen Stein فيرى أنّ العنف هو: "استخدام وسائل القهر والقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالأشخاص والممتلكات وذلك من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة اجتماعيا". (مجموعة من الأساتذة)

من خلال هذا التعريف نلاحظ أنّه يحصر العنف في استخدام وسائل القهر والقوة (المادية: عصا، سيف، بندقية، سكين وغيرها من الوسائل) لتهديد الآخرين أو إلحاق الأذى بهم أو بممتلكاتهم، وذلك قصد تحقيق أهداف غير مشروعة وغير مقبولة اجتماعيا، وهو يغفل العنف المعنوي أو الرمزي بمدلولاته واستخداماته...

بعد عرض التعريفات السابقة وإبداء الرأي حولها، يمكن صياغة التعريف الإجرائي التالي للعنف: هو استخدام وسائل القوة المادية، والمعنوية (اللفظية/ الرمزية) للضغط أو التهديد المعنوي، أو إلحاق الأذى الجسدي أو المعنوي بالآخرين وممتلكاتهم.

2. مفهوم الأسرة

هناك شبه اتفاق في كون الأسرة واحدة من أهم المؤسسات الاجتماعية، وهي لبنة أساسية في حياة البشر؛ إلّا أنّ ضبط المفهوم يعرف اختلافا نتيجة تعدّد المشارب الثقافية للباحثين وإيديولوجياتهم، وكذا تخصصاتهم، ولهذا السبب يحتاج الباحث السوسيولوجي -دوما- لتحديد مفاهيم بحثه تحديدا دقيقا؛ وإن اعتبر هذا الأخير نسبيا لعدم الوصول إلى المفهوم الأدق. (الشربيني وسيد منصور، 2000، صفحة 15)

من الناحية اللغوية وردت كلمة أسرة في لسان العرب بمعنى: أسرة الرجل أي عشيرته، والأسرة بمعنى عشيرة الرجل وأهل بيته، والأسرة في اللغة مشتقة الأسر بمعنى القيد، ويُقال أسر أسرا وقيدته وأسره؛ أي أخذه أسيرا، والأسر من أنواعه ما يكون طبيعيا لا خلاص منه كما في حالة الخلقة؛ حيث يكون الإنسان أسيرا لمجموعة من الصفات والخصائص الفسيولوجية كالطول والقصر والبدانة... أو يكون "الأسر" أو "القيد" مصطنعا أو صناعيا في الحروب، أو يكون اختياريا يرضاه الإنسان لنفسه ويسعى إليه لأنه يعيش مهددا بدونه. ومن هذا الأسر الاختياري اشتقت الأسرة، ومن حيث كانت الأسرة أهل الرجل وعشيرته، فإنّ الأسر والقيد هنا يفهم منه العبء الملقى على عاتق الإنسان أي المسؤولية التي تترتب عن ذلك.

وفي معاجم اللغة الإنجليزية تعنى كلمة الأسرة كلّ الناس الذين يعيشون في نفس المنزل؛ حيث يوجد الأبوان والأبناء، وتكون بينهم رابطة الدّم أو القرابة. (الشربيني وسيد منصور)

إذا علمنا أنّ جميع الناس في الماضي والحاضر يولدون في أسرة؛ حيث تتكوّن -عادة- من ثلاثة أعضاء على الأقلّ ينتمون إلى جيل فقط (جيل الآباء وجيل الأبناء)، وهي تشتمل على شخصين بالغين الذكور والأنثى، حيث يعرفان الأبوان البيولوجيان للأطفال يقومان في العادة بالالتزامات الاقتصادية تجاه الوحدة الأسرية والتي تقوم على إتباع قواعد ومعايير أسرية. (الشريبي وسيد منصور، صفحة 17)

بداية نورد تعريف أوجست كونت للأسرة، والتي يعتبرها الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي النقطة الأولى التي يبدأ منها في التطور، ويمكن مقارنتها في طبيعتها وجوهر وجودها بالخلية الحيّة في التركيب البيولوجي للكائن الحي، وهي أول وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد ويتلقى المكونات الأولى لثقافته ولغته وراثته الاجتماعي، لاسيما وأن كونت لا يعترف بالفردية الخالصة ولا تمثّل الفردية في نظره شيئاً يعتاده في شؤون الحياة الاجتماعية التي لا تتحقق بصورة كاملة إلّا حيث يكون هناك امتزاج عقول وتفاعل وجدانيات وأحاسيس واختلاف وظائف وتعدد الطوائف وتعاونها. (الخشاب، 1985، صفحة 32)

بالنسبة هذا التعريف يمكن القول بأنّه أهمل أهميّة الفرد داخل الأسرة واعتبرها في جسم المجتمع كونه يميل إلى الطابع البيولوجي، فهو يميل إلى الجماعة على حساب الفرد، وبالتالي يلغي قيمة الفرد بعيداً عن أسرته، فهذا التعريف يقوم على المقاربة العضوية، فكل عنصر لا فائدة منه إلّا ضمن الكلّ الذي ينتمي إليه. أمّا بيرجس Burgess فيرى أنّها: "جماعة من الأشخاص تربطهم روابط الزواج أو الدم أو التبني ويكونون في بيت ويتفاعلون مع بعضهم البعض في إطار أداء الأدوار الاجتماعية المحددة لزوج وزوجته وأب وأم وابن وابنة وأخ وأخت وهم يخلقون لأنفسهم ثقافة عامة متميّزة" (الخشاب)

وفيما يتعلّق بتعريف "بيرجس" فإنّه ركّز على أهميّة الفرد المكوّن للأسرة، ويؤكد على الروابط التي تجعل من جماعة الأشخاص أسرة؛ حيث أنّ روابط الأسرة إمّا تكون رابطة الدم، أو الزواج أو التبني، شرط العيش تحت سقف بيت واحد، ويتفاعلون فيما بينهم والقيام بأدوار محدّدة، مع خلقهم لثقافة عامّة متميّزة. وعرف أوجبرن Ogburn الأسرة بأنّها: "عبارة عن علاقة مستمرة ودائمة بين الزوج والزوجة بغض النظر عن وجود أبناء لهم وتعدّ الناحية الجنسية من أهمّ مميزاتهما، وقد تضمّ الأسرة أفراداً آخرين غير الزوجين والأبناء ينتمون إليها بصلة القرابة وفي هذه الحالة تكون هي البيت وليس الأسرة".

يؤكد التعريف أعلاه على أنّ الأسرة تشترط فيها الديمومة والاستمرار في العلاقة بين الزوجين، ولا يهّم وجود أبناء نتيجة هذه العلاقة، مع تركيزه على البعد الجنسي، وهذا التعريف يغفل الجوانب الشرعية والقانونية لهذه العلاقة، وكأنّ الزوجين يلجآن إلى تشكيل هذا البناء الاجتماعي لحاجة غريزية بالدّرجة الأولى. ويعتبرها برتراند Bertrand أنّ الأسرة: "جماعة اجتماعية مكونة من أفراد ارتبطوا مع بعضهم برباط الزواج أو الدم أو التبني وهم غالباً يشتركون مع بعضهم البعض تبعاً للأدوار الاجتماعية المحددة من قبل المجتمع". (موسى، دت، الصفحات 17-19)

من تعريف برتراند نستشف أنّ تعريف بنائي وظيفي؛ حينما يركّز على البناء وعلى وظائف مكونات ذلك البناء الاجتماعي، من خلال الأدوار الاجتماعية التي يؤدّيها أفراد الأسرة تماشياً مع مختلف الضوابط الاجتماعية والقوانين التي يفرضها المجتمع.

في حين نجد أنّ نيمكوف Nimkoff يعرفها تعريفاً بنائياً حين يؤكد على أنّها: "تتكوّن من الزوج والزوجة والأطفال أو دون أطفال، وقد تتسم بصفة الديمومة والبقاء وتتكون من الزوج والأطفال أو الزوجة والأطفال وذلك في حالة الوفاة أو الطلاق".

وفي هذا التعريف ركّز "نيمكوف" على بناء الأسرة وأشكالها المختلفة، فهو يتفق مع مجموع التعريفات السابقة، من الناحية البنائية؛ إلّا أنّه يضيف شكلاً أو شكلين جديدين للأسرة وهما اللذان يكونان نتيجة وفاة أحد الزوجين.

أما بوجاردس Borgardess فيرى أنّ الأسرة هي: "جماعة اجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأب والأم وواحد من الأطفال، يتبادلون الحب ويتقاسمون المسؤولية أشخاص يتصرفون بطريقة اجتماعية". كما نجد إيليوت وميرليك قد عرفاها بأنّها: "وحدة بيولوجية اجتماعية مكوّنة من زوج وزوجة وأبنائها، وهي أيضا نظامًا اجتماعيًا أو منظّمة اجتماعية متعارف عليها، تقوم بسدّ حاجات إنسانية معينة " (السيد، 2002، صفحة 26) من التعريفين السابقين نلاحظ أنّ "بوجاردس" أهمل التغيّرات والأحداث التي يمكن أن تطرأ على الأسرة، وهو يؤكّد على ضرورة وجود العناصر الرئيسة المكوّنة للأسرة من: زوج، زوجة، ابن -على الأقلّ-، ويضيف أنّ أساس التعامل بين أفراد هذه الجماعة الاجتماعية هو الحب والمودّة. وهم يتقاسمون المسؤوليات المترتبة عن هذا الاجتماع، كما أنّ تصرفاتهم اجتماعية أو أنّ التضامن بينهم آلي.

أما "إيليوت" و"ميرليك" فلم يفصلا في أدوار كلّ فرد داخل الأسرة، وهو شامل، فقط هو يعتبرها مؤسّسة أو منظّمة اجتماعية متعارف عليها في مجتمع ما، ووظيفتها الأساسية هي سدّ حاجات أعضائها، سواء جنسية أو نفسية أو أمنية أو اجتماعية وما إلى ذلك...

بعد عرض وتحليل مختلف التعريفات السابقة يمكن صياغة التعريف الإجرائي التالي للأسرة والذي مفاده أنّها: البنية الأساسية في بناء المجتمع، تتكوّن من مجموعة من الأشخاص تربطهم روابط الزواج أو الدّم أو التبني ويعيشون في بيت واحد، تنشأ بينهم علاقات إنسانية ويقومون بأدوار محدّدة، وتخضع لضوابط المجتمع، وهي أوّل وسط طبيعي واجتماعي ينشأ فيه الفرد.

3. مفهوم العنف ضدّ الزوجة

يُقصد بالعنف الأسري سوء معاملة شخص لشخص آخر تربط به علاقة وثيقة، مثل: العلاقة بين الزوج والزوجة، وبين الآباء والأبناء، وبين الإخوة، وبين الفتاة وخطيبها، وبين الأقارب بوجه عام...، ويتداخل مفهوم العنف الأسري مع مفاهيم كثيرة وقريبة منه مثل: العنف المنزلي أو سوء معاملة أحد الزوجين للآخر. (رشوان، 2003، صفحة 148)

وتقع أفعال العنف الأسري -غالبا- من الأزواج ضد زوجاتهم وإن كان من غير المستبعد أن تمارس الزوجات أعمال العنف ضد أزواجهن. (بيومي، دت، الصفحات 445-446)

والعنف الأسري هو تصرف عدائي أو مؤذي أو مهين يرتكب بأي وسيلة وفي حقّ أي امرأة فقط لكونها امرأة (على أساس جنسيتها)، ما يخلق عندها معاناة جنسية أو جسدية أو نفسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال التحرش أو التهديد أو الإكراه أو الأذى أو العقاب؛ كأن يقوم الرجل بالاعتداء على المرأة فتستخدم العنف للدّفاع عن النفس.

كما أنّه يعرف على أنّه لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع والآخرين حيث يحسّ الزوج بالعجز عن إيصال صوته والاعتراف بكيانه وقيمه ممّا يؤدي به إلى استخدام وسيلة العنف ضد زوجته لتحقيق غاياته المختلفة ضمن إطار العلاقة الزوجية داخل الأسرة. (جنان، 2010)

إذن فالعنف ضد الزوجة إجرائيًا هو: كل فعل عدواني، مؤذي ومهين يقوم به الزوج ضد زوجته، قد يكون لفظيًا، جنسيًا أو جسديًا، للتعبير عن غضبه أو امتعاضه عن أمور أو أفعال أو سلوكات معينة. وهذا العنف له تأثير كبير على العلاقة الزوجية وعلى العلاقات الاجتماعية.

ثانياً: أسباب العنف ضد الزوجة في الأسرة

هناك العديد من الأسباب التي تدفع بالزوج إلى ممارسة العنف ضد زوجته، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- ✍ اعتقاد الزوج أنه ينبغي أن يسيطر على الطرف الآخر (الزوجة) وخاصة إذا رسخ في وجدانه أنه يمتلكه.
- ✍ إساءة الزوجة للزوج بدنياً أو جنسياً أو عاطفياً، فيكون العنف بمثابة ردّة فعل.
- ✍ اعتقاد الزوج أنّ العنف هو السبيل الوحيدة لحلّ مشكلاته مع زوجته، خاصة إذا كان قد مرّ أو تعرّض في طفولته إلى اعتداء تأكّد من خلاله أنّ العنف هو الحلّ.
- ✍ اعتقاد الزوج أنّه ربّ الأسرة، وعلى الزوجة الخضوع لأوامره طوعاً، فإن لم يكن فكرهاً، هذا الأخير يكون في شكل عنف بأية وسيلة شاء... (بيومي، صفحة 457)
- ✍ غياب الحوار بين الزوجين، وجود الكثير من نقاط الاختلاف، وغياب التقدير والاحترام المتبادل بينهما... (<http://www.maisondesfemmes-free.fr.htm>)
- ✍ عدم قدرة الزوج على التعبير عن مشاعره إلا بالأفعال العنيفة وخاصة إذا كان سهل الاستثارة وكانت زوجته كثيرة الكلام ومحبة للجدل.
- ✍ شعور الزوج بالإحباط في عمله (ضغوط العمل) وعدم قدرته على التعبير عن شعوره بالغضب أمام رئيسه أو المتسبب في إغضاب، ما يجعله يتنفّس وينفّس عن تلك الضغوط ويفرغ غضبه على زوجته.
- ✍ شعور الزوج بالعزلة وعدم القدرة على مخاطبة أي فرد بما يشعر به.
- ✍ خضوع الزوج للنقد المستمر والجراح من طرف زوجته أو من أهل زوجته بسبب تسامحه أو تهاونه في حقها في بعض المواقف. (بيومي، صفحة 457)

ثالثاً: أشكال العنف الزوجي داخل الأسرة

يلجأ الأزواج عادة إلى ممارسة العنف ضدّ زوجاتهم لعدّة أسباب أو مبرّرات، يرون من خلالها أنّ لهم الحق في تعنيفهنّ، قصد التعبير عن حالات انفعالية أو سلوكية معيّنة، وهذا العنف يتّخذ أشكالاً متعدّدة، نذكر أهمّها باختصار فيما يأتي:

1.3 الإيذاء البدني

وهو أكثر صور أعمال العنف خطورة وخاصة إذا صاحبتها جروح أو كسور تصيب المعتدى عليه، (رشوان، صفحة 149) كالصفع، اللكم، الضرب بوسيلة عنف (عصا، سكين، حزام...) يؤدّي إلى جروح، كدمات أو تشوّهات على مستوى الوجه أو الجسد.

وقد يتطوّر هذا العنف أكثر في حالات انحراف الزوج (المدمن أو السكير) إلى مظهر ضروري للتنفيس عن حالات الفشل والضياع الأخلاقي أو جراء أمراض نفسية مستعصية كحالات الشّعور بالسيادة التي تعني التلذّذ والمتعة بتعذيب الآخرين وإيذائهم... (بيومي، صفحة 446)

2.3 الاعتداء الجنسي

يتجسّد هذا الشكل من العنف حينما يقوم الزّوج بإكراه زوجته -بصفتها معتدى عليها- على ممارسة الجنس أو القيام بأعمال جنسية فاضحة، ويعدّ الاغتصاب أخطر أنواع صور الاعتداء الجنسي في نطاق الأسرة وغالبًا ما يكون مصحوبًا بالتهديد أو الضرب أو السبّ والشتيم أو بإيذاء المرأة إذا لم يرضخ للأمر الواقع. (رشوان)

3.3 الإيذاء المعنوي بالسبّ

في هذه الحالة يوجّه الزّوج ألفاظًا بذيئة تحطّ من قيمة وقدر الزوجة، أو تنال من شرف أهلها، كسب الزّوج لزوجته أو أهلها، وإهانتها بألفاظ وعبارات وكلمات غير مقبولة. (نجاة التّونسي) ؛ كأن يقول لها بأنّها ليست امرأة، وأنّ غيرها أفضل منها، أنت لست جميلة، ماكش متريّة، مارباوكش والديك، أنت خامجة وما إلى ذلك من العبارات التي لا يليق المقام هنا لذكرها....

4.3 سوء المعاملة الاقتصادية

قد يتّخذ العنف ضد الزوجة شكلًا ماديًا؛ حيث يقوم الزوج بحرمان زوجته من مصروف المنزل إذا لم تكن عاملة ولا تتمتع باستقلالية مالية، أو قد يستولي على راتبها إذا كانت عاملة لينفقه على ملذّاته أو يستحوذ على مدّخراتها فيعطها لأهلها...

5.3 سوء المعاملة الاجتماعية

يكون هذا الشكل من العنف في صورة فرض العزلة الاجتماعية على الزوجة، كمنعها من زيارة أهلها وأقاربها أو صديقاتها، منعها من الخروج من المنزل وتقييد حركتها كمنع اختلاطها بالجيران -مثلا- ومن الطبيعي أن يلجأ الزوج إلى استخدام القوّة ووسائل الضغط لتنفيذ ذلك... (رشوان)

رابعاً: النظريات المفسرة لعنف الزوج على زوجته

ظهرت عديد المحاولات لتفسير العنف الأسري في أواخر الستينيات من القرن الماضي، وتركّزت تلك المحاولات على العوامل النفسية الكامنة وراء إساءة معاملة الزوجات خاصة الاعتداء عليهن، ومن النظريات الشائعة نذكر:

1.4 النّظرية النّسوية

تؤكد هذه النظرية على عدد من القضايا مثل:

☞ ضرورة التأكيد على الخبرات التي يكسبها أفراد المجتمع نتيجة انتمائهم لجنس الرّجال أو النّساء.

☞ الإقرار بأنّ المرأة يتعيّن عليها أن تكون خاضعة للمجتمع.

☞ التأكيد على الالتزام بتخليص المرأة من هذا الخضوع.

وتنطوي النّظرية النّسوية على فكرة مؤدّاها أنّ: العلاقات بين الجنسين تعدّ مكّونا جوهريا من مكّونات الحياة الاجتماعية أي أنّ النّظرية لا ترتكز فقط على حياة النساء فحسب بل تمدّ الاهتمام أيضا إلى الرّجال. (بيومي، صفحة 450)

وتهدف النّظرية النّسوية إلى تحليل العلاقة بين الجنسين من اجتماعيًا، والإجابة عن كلّ التساؤلات التي تتعلق بالجنسين في إطار المجتمع، وما يشغل هذه النّظرية هو السعي وراء معرفة أسباب استبداد الزّوج بالزوجة بوجه عام، ولماذا ينظر المجتمع إلى الزوجة على أنّها الشخص الذي يجب يكون في طاعة الزوج وخدمته إذا ما كانت تسهم في ميزانية المنزل بقدر أكبر منه، وربّما كانت الشجاعة إذا ما داهمت الأسرة بعض الأزمات أو المشكلات.

الخلاصة أنّ النظرية النسوية تكشف عن أنّ لجوء الأزواج إلى العنف يعدّ استعراضاً لما يتمتعون به من قوّة وسلطة ومكانة اجتماعية، وهذا الوضع يعطي لكثير من الرجال انطباعاً أنّ من حقهم إساءة معاملة زوجاتهم، ومن ثمّ فإن هذه المعاملة السيئة تتطلب إعادة بناء علاقات القوّة بين الرجال والنساء في المجتمع.

2.4 نظرية الارتباط بين الدور والنوع

تقدّم نظرية الارتباط بين الدور والنوع تفسيراً مبسطاً لسوء معاملة الأزواج لزوجاتهم؛ يكمن في أنّ الأدوار التي يقوم بها الرجال والنساء تضع الرجال في وضع أفضل من النساء وتسمح لهم بإساءة معاملتهم. ولذلك فإنّ الحيلولة دون إساءة معاملة النساء وخاصة الزوجات تتطلب إعادة هيكلة الأدوار التي يقوم بها الرجال والنساء في المجتمع، وإعادة تشكيل عملية التنشئة الاجتماعية التي عن طريقها يتمّ التدريب على هذه الأدوار، وتهيئة الذكور جنسياً في سنّ مبكرة لما لها تأثير لاحقاً على علاقتهم الجنسية مع زوجاتهم لتفادي الآثار التي تنتج عن المشكلات الجنسية الممكنة. فالفتاة يتمّ تنشئتها على الخجل بكلّ ما يتعلق بحياتها الجنسية، في حين أنّ المجتمع يكون أكثر تسامحاً مع الفتى لتناوله للأمور الجنسية، ولهذا تكون الزوجة أكثر خضوعاً للزوج وربما تعرّضت لسوء المعاملة من جهته لأسباب جنسية... (بيومي، الصفحات 450-451)

3.4 نظرية ثقافة العنف

تؤكد هذه النظرية عند تفسيرها لظاهرة سوء معاملة الأزواج لزوجاتهم، على شيوع ثقافة العنف وقبولها في المجتمع، ولهذا لا يتورّع بعض الأزواج في صفع زوجاتهم أو ركلهن إذا ما أتين بفعل يثير مشاعرهم، وهؤلاء الأفراد يلجؤون إلى الأسلوب نفسه لمعالجة مشكلاتهم مع الغير في الشارع أو في مجال العمل...، ويتأثر الفرد بثقافة العنف السائدة بين زملائه في العمل أو في بيته أو حتّى العنف الذي يراه على التلفزيون. وهذه النظرية تكشف على أنّ العنف موجود بين الأفراد في الشرائح المختلف للمجتمع، باعتباره وسيلة مشروعة لمعالجة المشكلات، ونتيجة لذلك قد يلجأ الأزواج على تعنيف زوجاتهم بشكل مبرر اجتماعياً.

4.4 نظرية تناقل الخبرات بين الأجيال

تنهض هذه النظرية على فرضيّة أساسية مفادها أنّ الرجال الذين كانوا يرون آباءهم يسيئون معاملة أمهاتهم وكانوا هم أنفسهم يتعرّضون إلى المعاملة السيئة من آباءهم غالباً ما يلجؤون إلى العنف مع زوجاتهم، باعتبار ذلك السلوك تمّ تناقله ثقافياً من جيل لآخر (آباء/ أبناء). وللمحدّ من إساءة معاملة الأزواج لزوجاتهم حسب هذه النظرية يكون بتغيير أنماط سلوك الأفراد وإقناعهم بضرورة عدم اللجوء إلى العنف مع الزوجات وخاصة على مرأى ومسمع من أطفالهم. (بيومي، الصفحات 452-455)

خامساً: الآثار الناجمة عن العنف الممارس ضد الزوجات

إنّ تعنيف الزوج لزوجته سواء بمبرر أو بدون مبرر تنجرّ عنه آثار وخيمة، وتترتّب عنه مشكلات على المستوى الفردي والاجتماعي، ومن الآثار نسوق ما يلي: (العيسوي ع.، 2004/2003، الصفحات 243-244)

- ☞ التفكك والتصدّع الأسري،
- ☞ عدم الاستقرار الاجتماعي،
- ☞ زيادة نسب الانحراف والجريمة،
- ☞ انخفاض الشعور باحترام الذات،
- ☞ الاعتماد النفسي على الغير أو الانطواء والاتكالية،
- ☞ الشعور بعدم الأمن،
- ☞ انخفاض الشعور بالتعاطف الوجداني،
- ☞ ضعف قدرة الفرد في الاتصال والتواصل والمهارات الاجتماعية.

ك بروز العدوانية في شخصية الزوجة،

ك توليد شخصية مضادة للمجتمع،

ك القلق والاكتئاب ومختلف الاضطرابات النفسية،

ك الشعور بالإحباط والإهانة والعجز وفقدان الثقة بالنفس.

سادسا: العنف ضد الزوجات في المجتمع الجزائري:

يعرف العنف بشتى أنواعه في المجتمع الجزائري ارتفاعاً ملموساً لعدة اعتبارات منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو اقتصادي أو سياسي، والعنف ظاهرة اجتماعية تعرف انتشاراً واسعاً في مختلف الأوساط الاجتماعية؛ حيث تعرضت شرائح كثيرة من المجتمع الجزائري للعنف بمختلف أنواعه، وللزوجات نصيب منه؛ حيث سجلت مصالح الأمن الجزائرية تفشياً واضحاً لظاهرة العنف بين الزوجين وهذا ما أكدته محافظة الشرطة "مسعودان خيرة" من خلال إحصائيات الشرطة للثلاثي الأول لسنة 2006، حين صرحت بتعرض 1762 امرأة للعنف بمختلف أنواعه يتصدره العنف الجسدي بـ 1113 ضحية من طرف أزواجهن، ليبلغ العنف أقصى حدوده بتسجيل 6 حالات قتل عمدي.

وحسب المصدر ذاته بلغ عدد الزوجات ضحايا العنف أزواجهن خلال سنة 2005 حوالي 7419 حالة منها 5179 ضحية تعرضت لعنف جسدي و34 ضحية إلى قتل عمدي، فيما تعرضت 1753 ضحية إلى سوء المعاملة، وفي سنة 2005 بلغ عدد الزوجات المعتدى عليهن 7197 حالة عنف، منها 4281 حالة عنف جسدي و16 حالة قتل عمدي. كما سجلت قيادة الدرك الوطني الجزائرية 234 قضية ضرب وجرح عمدي و136 قضية لسوء المعاملة و65 ضحية تعرضت لعنف جسدي، و42 جريمة قتل من 2001 إلى 2005. ومن جهة أخرى أحصت قيادة الدرك الوطني خلال السداسي الأول لسنة 2006: 365 قضية تتعلق بالعنف ضد الزوجات، حسب ما كشفت عنه الملائمة "بتن الحاج جلول سميرة".

وفي ذات السياق، كشف قسم الطب الشرعي بمستشفى "مايو" بباب الواد بالعاصمة على لسان الطبيبة "عباس" على هامش الملتقى الذي نظمه مركز الإصغاء القانوني والنفسي التابع لجمعية "نجدة النساء في شدة" بمؤسسة "فريدرش ايبرت" بالعاصمة عن تجربة القسم في استقبال ضحايا العنف الجسدي المقدّر عددهنّ بـ 3000 حالة عنف ضد الزوجات.

وتبقى الأرقام بعيدة عن الواقع خاصة إذا علمنا أنّ هذا الموضوع يعدّ من الطابوهات في المجتمع الجزائري، مع رفض النساء الضحايا رفع شكاوى ضد أزواجهنّ. وهو الأمر الذي قادنا إلى التوجّه إلى مصلحة الطب الشرعي بالمستشفى الجامعي بمدينة قسنطينة للوقوف على الظاهرة سواء في الأسباب أو طبيعة العنف الممارس من الأزواج على زوجاتهم.

سابعا: عنف الأزواج على زوجاتهم في قسنطينة:

سنحاول في هذا العنصر البحث والتقصي من خلال القيام بقراءة تحليلية في ملفات ضحايا العنف بمصلحة الطب الشرعي بالمستشفى الجامعي بقسنطينة، باعتبارها مجالاً للدراسة الميدانية التي عكفنا على إنجازها.

لقد سجلت مصلحة الطب الشرعي بالمستشفى الجامعي لقسنطينة سنة 2005 حوالي 3600 امرأة تعرضت للضرب منها 33 % عتفن من طرف أزواجهنّ. وجاء في تقرير مصلحة الطب الشرعي أنّه يومياً تتعرض 12 امرأة متزوجة للعنف. ومن النساء الأكثر تعرضاً للعنف أولئك اللاتي تتراوح أعمارهنّ بين 25 و35 سنة وذلك بنسبة 45% و2% بالنسبة لـ 60 سنة. وتعرضت النساء المتزوجات الماكثات بالبيوت للعنف بنسبة 72 % و1% بالنسبة للمتعلمات والعاملات، والأزواج هم الذين يقومون بالعنف حيث يحتلون المركز الأول بنسبة

75%. أما مواقيت تعرّض الزّوجات للعنف فقد سجلت نسبة 64% من الحالات في المساء؛ (http : //www.violence-conjugal.free.fr) فعندما يعود الزّوج إلى المنزل مساءً من العمل يكون منهكا وتكون له قابلية التعنيف نتيجة ضغط العمل من جهة وضغط طلبات الزّوجة والأولاد، و20% في فترة الصباح و16% بعد الظهر.

أما فيما يتعلّق بالأماكن التي يمارس فيها العنف ووسائله فقد لفت انتباه مصلحة الطبّ الشرعي بأنّ الأزواج يختارون الأماكن غير الخطيرة، وذلك باستعمال اليد والرجل بـ 74% وفي بعض الأحيان بأي شيء يصادفهم بـ 25% فيما يلجأ للآلات الحادة نادرا بـ 1%. ونتيجة لذلك فإنّ الجروح تكون خفيفة بـ 88% في حين لا يؤدّي الضرب للكسور إلّا بنسبة 12% من الحالات.

وعن المتسببين في العنف كشفت نتائج التحقيق الوطني الذي أنجزه المعهد الوطني للصحة العمومية سنة 2002 بالتنسيق مع مجموعة بحث شملت آنذاك ممثلين عن مصالح الطبّ الشرعي وطب أمراض النساء والتوليد وطب القلب، إلى جانب ممثلين عن القضاء الجزائريين، وهو التحقيق الذي شمل 9033 امرأة والذي أثبت 50% من العنف الذي تعرضت له هؤلاء النسوة تم داخل المنزل الأسري، وأنّ الزّوج هو المتسبب الرئيس في ذلك.

وقد كشفت إحصائيات رسمية تمّ عرضها خلال ندوة رسمية نظّمت في العاصمة الجزائر بمناسبة اليوم العالمي 25 "للعنف ضدّ النساء" شارك فيها نخبة من الأخصائيين ومسؤولي الحكومة وممثّلو وزارات، وجهات رسمية لسنة 2007 أنّ الأزواج يحتلون المرتبة الثانية بعد "العزّاب" المتسببين في العلامات العنيفة ضد الزوجة بنسبة 11%.

وبخصوص أسباب تنامي ظاهرة العنف ضد الزوجات أرجعت محافظة الشرطة "مسعودان خيرة" على هامش اختتام الورشة الإقليمية المحلية حول "العنف ضد النساء" إلى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية بصفة عامة إلى سوء التربية والانحلال الخلقي بدرجة خاصة، وهو ما فتح المجال حسمها لاقتراف أبشع صور العنف، مصيفة أنّ ما يشجع استمرار ظاهرة العنف هو صمت الضحية وعدم التبليغ من الجانب الذي يغتنم سكوت المعتدى عليها لمواصلة أفعاله أو بدورها اعتبرت المحامية "حمادي فاطمة" أنّ العنف يعود بالدرجة الأولى إلى الواقع الاجتماعي. (http : //www.violence-conjugal.free.fr)

علما أنّ الوزارة المكلفة بالأسرة نصبت اللجنة الوطنية لمكافحة العنف ضد المرأة مكونة من ممثلين من مختلف القطاعات الوزارية والهيآت النظامية (14 وزارة معينة والمجلس الإسلامي الأعلى) ووسائل الإعلام الوطنية والمجتمع المدني. ولكن تبقى الزوجة تعاني من العنف خاصة في بعض المناطق التي تتميز بالسلطة الزوجية المطلقة، فتظل ضحية اعتداءات جسدية ومعنوية من طرف الزّوج، وهذه الاعتداءات وبحكم ارتكابها بوسط أسري مغلق، يبقى من الصعب القيام بأعمال وقائية تجاهها، والتي -غالبا ما- يكشف عنها بواسطة شهادة طبية بعد فوات الأوان في حال ما إذا رغبت الزوجة في تقديم شكوى ضدّ زوجها وهذا من الحالات النادرة وهذا لاعتبارات عدة منها: خوف المرأة من انتقام الزّوج، الخوف من تفكك الأسرة، ونلاحظ أنّ الزوجات اللواتي سلط عليهن العنف يشعرن بالاحتقار تجاه أنفسهن.

تحتاج المرأة عادة إلى الحماية والعطف الأسري والاجتماعي، وهذه ببساطة حاجة إلى أن تُعامل معاملة محترمة ككائن بشري عليه واجبات يؤديها، وله حقوق كاملة على المجتمع ألا يحرمها منها؛ وإلا كان اعتداءً كبيرا ليس فقط على المرأة المتزوجة بل على حقّ النساء ككل. (http : //www.violence-conjugal.free.fr)

الجدول 1: (خصائص المبحوثين)

الرقم	العمر	مكان الإقامة	المهنة	مدة الزواج	عدد الأولاد	الطريقة	الحالة عند الكشف	سبب العنف	النتائج	سن الزوج	المهنة	الوصف
1	37	قسنطينة	تقني ساعي	/	04	اعتداء بواسطة قارورة زجاجية	ردود في الرأس جروح داخلية في الرأس	خيانة زوجية من طرف الزوج	12 يوم راحة	39	مقاول	/
2	39	قسنطينة	ربة بيت	/	02	اعتداء بواسطة الصنع واللحم	آلام في الرقبة آلام الرأس آلام في الأذنين	مشاكل عائلية	4 أيام راحة	43	بطل	/
3	34	قسنطينة	مرمجة	/	00	اعتداء بواسطة الصنع والخنق	آلام في الرقبة آلام في الرأس آلام في الأذنين	سرقة أموال من طرف الزوج	7 أيام راحة	43	دقّان	مدمن على المخدرات
4	31	قسنطينة	ربة بيت	/	02	اعتداء بواسطة الصنع واللحم	كسور في الأنف زرقعة حول العين	مشاكل عائلية	15 يوم راحة	37	سائق شاحنة	مدمن على المخدرات بكل أنواعها سابق عدلية
5	25	قسنطينة	ربة بيت	/	01	اعتداء بواسطة الصنع واللحم والضرب بواسطة طاوله	آلام في الكتفين والاذنين والرجل اليمنى والظهر	طلب المال من أجل تناول الخمر	15 يوم راحة	30	عاطل عن العمل	مدمن على المخدرات بكل أنواعها سابق عدلية
6	23	قسنطينة	مرمجة	/	00	اعتداء بواسطة الصنع واللحم	آلام في الخوض وفي الأنف وآلام في الظهر	مشاكل عائلية	15 يوم راحة	30	عاطل عن العمل	/
7	25	قسنطينة	ربة بيت	/	01	اعتداء بواسطة اللحم والجذب من الشعر	آلام في الرأس آلام في الكتفين	مشاكل عائلية مع الحدة	6 أيام راحة	25	نجار	سوابق عدلية
8	37	قسنطينة	طبيبة	7	02	اعتداء بواسطة اللحم	آلام في الرقبة والكتف	طلب المال الغرب عدة مرات	8 أيام راحة وإلى طبيب نفسي	46	طبيب	/
9	44	قسنطينة	ربة بيت	20 سنة	04	اعتداء بواسطة القنوط (عصا)	جروح في الرأس، جروح في الأذن وكسر في الأنف	طلب المصروف المنزلي كان الضرب عدة مرات	10 أيام راحة	49	تصليح الآلات الكهربة منزلية	/
10	32	قسنطينة	ربة بيت	3 سنوات	01	اعتداء بواسطة الصنع واللحم اعتداء بواسطة الكرسي	أصبحت بالانهيار عصبي عدم القدرة على المشي	طلب المصروف المنزلي كان الضرب عدة مرات	16 يوم راحة	34	لا يعمل	/
11	30	قسنطينة	مزمجة	7 سنوات	04	اعتداء بالصنع واللحم والجذب من الشعر	الاعتداء لم يخلّف أي إصابة خطيرة	عقدة نفسية بسبب طلاق والده وهو صغير وعاش يتيمًا	/	32	بئاد	/

المصدر: المؤلف(ة)، السنة، الصفحة (Sakkal Majalla, taille 13, Normal ; Centrer)

من خلال ما تمّ جمعه والحصول عليه من معلومات وبيانات، بعد الاطلاع على مختلف الملفات الموجودة بمصلحة الطب الشرعي بالمستشفى الجامعي بقسنطينة، يمكن القول أنّ:

إنّ الزوجات الأكثر عرضة للعنف تتراوح أعمارهن بين 23 إلى 44 سنة، وهي مرحلة عمرية تعكس أنّهن لا تزلن شابات، وأغلبهنّ حديثات العهد بالزواج، وبالتالي هنّ في فترة تجربة أو اختبار؛ أين يكون كل طرف يحاول فهم الآخر، ويحاول فرض نفسه، والقيام بمناورات للسيطرة أو الهيمنة على مقاليد الأسرة...

كما نلاح من الجدول أعلاه أنّ نسبة من النساء المعتقات عاملات يقدّرن 5 من 11 حالة، أما الأخريات فهنّ ماكثات بالبيت، مع العلم أنّ النساء العاملات هن متوسطات الدّخل والاعتبار، ما عدا حالة واحدة وهي طبيبة وزوجها طبيب.

أغلبية الحالات لديهن أطفال (من طفل إلى أربعة أطفال)، باستثناء حالتين فقط ليس لهن أولاد

أما الأسباب المؤدية إلى ارتكاب العنف على الزوجات فهي تتوزّع على تلك العائلية (الاجتماعية)، وتلك المادية (الاقتصادية) وهي كما يلي: سرقة الأموال من طرف الزوج كسبب أول، أما السبب الثاني يكمن في طلب الزوج المصروف العائلي من زوجته العاملة، أما السبب الثالث فهو الخيانة الزوجية، ومرض نفسي.

أما عن الأزواج الذين مارسوا الفعل العدواني العنيف على الزوجات فتتراوح أعمارهم بين 25 و49 سنة، وأغلبهم عاملون ولكن في أعمال ليست ذات دخل عالٍ، ماعدا حالتين (طبيب ومقاول)، والبقية وهم 4 من 11 زوجاً بطّالون.

وفيما يخصّ الإصابات الناجمة عن العنف الممارس من الأزواج على زوجاتهم فهي في المطلق جسدية، وعميقة، استدعت عجزا من 4 إلى 16 يوماً حسب تشخيص الأطباء الشرعيين بمستشفى قسنطينة الجامعي. بالإضافة إلى حالات التوتر، كبت، فقدان الثقة بالنفس...

ثامنا: نتائج الدراسة

كشفت هذه الدراسة عن وجود جملة من الأسباب التي تؤدي إلى ممارسة الأزواج العنف ضد زوجاتهم في الأسرة، منها ما هو اجتماعي، ومنها الاجتماعي ومنها النفسي، ويمكن تبين ذلك في الفقرات الموالية.

1.8 الأسباب الاجتماعية التي تدفع الزوج الى ممارسة العنف ضد زوجته:

نلاحظ أن معظم الزوجات هن صارمات في القيام بواجباتهن المنزلية، كما أن الأزواج الذين يمارسون العنف ضد زوجاتهم يتعاطون المخدرات أو الخمر، حيث أن الشخص الذي يتعاطى المخدرات يفقد اتزانه ولا يستطيع السيطرة على نفسه أو التحكم في تصرفاته وأفعاله أو ردود أفعاله على أي مثيرات، ولا يعي ما يقوم به....، كما أنهم يريدون دوما الحصول عليها وتناولها سواء خارج البيت أو داخله ما يجعل الزوجات تتدخلن وتحاولن إقناعهم بالعدول عن تعاطي تلك المخدرات ما يجعل الأزواج يثورون، ويقومون بردود أفعال عنيفة تجاه تلك المحاولات.

كما أن هذه الحالات يسكنون في بيوت العائلة الكبيرة؛ ما يولد نوعا من الضغط النفسي على النساء كتنقييد حريتهن، أو تدخل أطراف أخرى في الحياة الزوجية، وتزايد شكاوى الزوجة للزوج وممارسة ضغط عليه ما ينتج عنه حتما ردود أفعال عنيفة من الأزواج لإخضاع الزوجة، وإسكاتهما... نتيجة غياب القدرة على الإقناع بالأساليب الحضارية كالحوار.

والعنف لا يولد إلا العنف، وهو ما تؤكده نظرية ثقافة العنف؛ حيث وجدنا حالة كانت تعاني من العنف في الصغر، حين كان والده يعنف أمه، ثم تنشئته يتيما والصدمات التي لحقت به، ومحاولته تقليد والده من جهة والانتقام من المجتمع من جهة أخرى.

2.8 الأسباب الاقتصادية التي تدفع الزوج إلى ممارسة العنف ضد زوجته

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن الأزواج الذين يمارسون العنف ضد زوجاتهم بعضهم لا يعملون مع العلم أن الأزواج الذين يعملون دخلهم غير كاف لتغطية مصاريف الأسرة، وكذلك يتلقون إعانات من أطراف أخرى وهذه الأسباب تعد من الأسباب الهامة التي تدفع الزوج إلى ممارسة العنف ضد زوجته. فأغلب الحالات كان سبب تعنيفهم لزوجاتهم بسبب طلب مصروف المنزل من جهة بالنسبة لربات البيوت، وطلب أزواجهن للنقود لشراء المخدرات بالنسبة للبطلين والمتعاطين، أو لاقتناء حاجيات أفراد الأسرة المختلفة من جهة أخرى.

فالعامل الاقتصادي له دور هام أيضا في بروز وانتشار ظاهرة العنف في الوسط الأسري، فنتيجة عدم القدرة والاكتفاء الاقتصادي يدفع الزوج إلى ممارسة العنف ضد زوجته سواء كان هو من يحتاج للمال؛ حيث ترفض زوجته وتكون هناك تصادم بينهما فيلجأ للعنف لإخضاعها، وهو ما تذهب إليه النظرية النسوية ونظرية الدور والنوع، فالرجل هنا يحس بأنه غير ذي نفع ويحسن بالعجز....، كما أن المرأة نتيجة عملها واستقلاليتها الاقتصادية تكون لديها شخصية أقوى من تلك التي لا تشتغل... وهو ما يدفع الزوج إلى ممارسة العنف ضدها بسبب قدراته المورفولوجية وقوته البدنية التي يستخدمها إضافة إلى وسائل عنف أخرى قصد إخضاع وتأديب والسيطرة على الزوجة دونما مراعاة للضوابط أو القواعد السلوكية التي يفرضها المجتمع عموما والأسرة خصوصا.

3.8 الأسباب النفسية التي تدفع الزوج إلى ممارسة العنف ضد زوجته

قد تكون الأسباب المؤدية إلى تعنيف الزوجة نفسية وهو ما أكدته البيانات الواردة في الجدول أعلاه، فالأزواج الذين يمارسون العنف ضد زوجاتهم قد يكونون يعانون من اضطرابات نفسية أو ذوو مزاج سيء، بالإضافة إلى معاملة زوجاتهم معاملة قاسية.

وقد تبين أيضاً أنّ من الأزواج الذين يمارسون العنف ضد زوجاتهم -ورغم قلة عددهم- عاشوا طفولة متوترة، هذه الأخيرة أثرت سلباً على شخصيتهم وعلى تعاطيهم مع المواقف الاجتماعية المختلفة، بالإضافة إلى معاناة بعضهم من عقد نفسية تجعلهم يحسون بالنقص والخوف والوسوسة... ما يؤدي بهم إلى الشك في زوجاتهم وبالتالي اللجوء إلى تعنيفهنّ بين الفينة والأخرى.

2. خاتمة:

تعتبر الأسرة أحد مقومات الوجود الاجتماعي في المجتمع الإنساني، ولذلك فهي نظام اجتماعي عالي تعرفه كلّ المجتمعات بتنوّعها، وكثير من هذه الأنساق الاجتماعية تُعاني من مشكلات وخلافات زوجية (بين الزوج والزوجة)، والتي تنشأ بسبب قضايا أسرية ذات مصلحة عامة أو خاصة؛ والتي قد تؤدي إلى الشجار، هذا الأخير قد يكون عادة بشكل من أشكال العنف المختلفة (جسدي، لفظي، معنوي)، وهو ظاهرة سلبية أخذت في الانتشار في المجتمع الجزائري.

فالخلافات بين الزوج والزوجة أمر طبيعي في الحياة الأسرية لكن للأسف في كثير من الأحيان تتحوّل هذه الخلافات إلى شكل من أشكال العنف، وقد ركّزنا في هذا المقال على عنف الزوج ضدّ زوجته مع محاولة البحث في أسبابه، التي لا تخرج عن تلك: الاجتماعية والاقتصادية والنفسية.

إلا أنّنا نؤكد من خلال هذا المقال على سلبية الفعل العنيف الممارس ضد الزوجة من طرف زوجها، والتنبيه إلى مختلف الآثار التي يمكن أن تترتب عنه سواء على الأسرة بشكل عام أو على أعضائها (زوج- زوجة- أبناء). وهو ما يقودنا إلى ضرورة وضع معايير قانونية للزواج، مع العمل على تنشئة المقبلين على الزواج وتدريبهم على تحمّل المسؤولية وقبول الآخر، من خلال بناء مفاهيم سليمة وقيم ترتبط بالاختيار الزواجي، والتعامل بين أطراف العلاقة بما يخلق نوعاً من التوافق والانسجام والاحترام من أجل الوصول إلى خلق جو أسري مستقر للأولاد لتمكينهم من العيش في أمان... ما يساهم في الحفاظ على هذا البناء الاجتماعي الهام في الحفاظ على الرابط الاجتماعي للمجتمعات، باعتباره الوسط الطبيعي لتنشئة الأطفال وتلبية مختلف الحاجات النفسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.

الإحالات والمراجع:

Travaux cités

(s.d.). Récupéré sur -<http://www.maisondesfemmes-free.fr.htm>.

<http://www.violence-conjugal.free.fr>. (s.d.).

ابن منظور. (1994). لسان العرب (الإصدار 3، المجلد 9). بيروت: دار الصادر.

الجهري م، &، آخرون. (1995). المشكلات الاجتماعية. (1. éd.) الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

الخشاب م. (1985). دراسات في علم الاجتماع العائلي. بيروت: دار النهضة العربية.

السيد ر. (2002). إسهامات الخدمة الاجتماعية في الأسرة والسكان. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

الشربيني ز. أ. &، سيد منصور ع. (2000). الأسرة على مشارف القرن. (1. éd.) 21 القاهرة: دار الفكر العربي.

العيسوي عبد الرحمان. (1999). علم النفس الشواذ والصحة النفسية. (1. éd.) بيروت، لبنان: دار الراتب الجامعية.

العيسوي عبد الرحمان. (2000). موسوعة علم النفس الحديث. (1. éd.) بيروت: دار الراتب الجامعية.

الفاروقي ح. س. (1998). المعجم الفاروقي. بيروت، لبنان: مكتبة بيروت.

- بدوي, أ. ز. (1982). قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت, لبنان: مكتبة بيروت.
- بيومي, م. أ. دت. (علم الاجتماع الأسرة, القاهرة: دار المعرفة الجامعية, الأزاريطة.
- جنان, ل. ع. be.free-info/parent. Consulté le 01 22, 2010, sur be.free-info/parent: www.be.free-info/parent (2010, 01 22).
- رشوان, ح. أ. (2003). الأسرة و المجتمع. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الرحمان العيسوي. (1997). سيكولوجية الطفولة والمراهقة. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- عبد الرحمان العيسوي. (2004/2003). الجريمة بين البيئة و الوراثة. الإسكندرية, مصر: دار المعارف.
- عبد المختار, م. خ. (1999). الاغتراب والتطرف نحو العنف. القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر.
- مجموعة من الأساتذة. (2003). العنف والمجتمع. أعمال الملتقى الدولي الأول، 9-10 مارس 2003، (الصفحات 14-16). بسكرة.
- مسعود جبران. (2001). المعجم اللغوي الحديث والأسهل. لبنان: دار العلم للملايين.
- موسى, ت. ع. دت. (البناء الاجتماعي للأسرة, مصر: المكتب العلمي للنشر والتوزيع.
- نجاة التّونسي. (s.d.).

- (ة)، عنوان المداخلة، عنوان المؤتمر، تاريخ الانعقاد، الجامعة، البلد.
 - مواقع الانترنت: اسم الكاتب (السنة /)، العنوان الكامل للملف، ذكر الموقع بالتفصيل:
- [http://adresse complete \(consulté le jour/mois/année \)](http://adresse complete (consulté le jour/mois/année))